مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 05/ العـدد 01: (2018)، ص 118- 159

نظرية الصبغة والاسباغ بين البنية والدلالة في القرآن (2)

الدكتور: فارح شيخ محمد عبد الرحمن - لندن

الملخص :

سبق أن نشرنا الجزء الاول لمقالنا هذا في العدد التاسع 2017 و السابق للمجلة المعنون بالصبغة بين البنية والدلالة في الإسلام في شرح قوله تعالى: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة لقوم يؤمنون - سورة البقرة، الآية 138). أما هذا المقال فهو تكملة للموضوع السابق ولشرح قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) "[1]" -

تناولت الداسة السابقة الصبغة بجوانبها الثلاثة البنيوي- والدلالي - والمعرفي - لكون الإنسان يشكل مجموعة من القوى الظاهرة والباطة، وإن كان الجسد غطاؤها وبيت سكنها، والقوى في داخله قوى تشبه الهيكل أوالغطاء مؤثرة أيما تأثير عليه، وهي القوى الفيسيولوجية والسيكولوجية كقوة باطنة مسبغة فيه، يكمل بعضا بعضا مثل: الاحساس والانتباه والشعور والفهم والعقل والذكاء والدوافع والاستعدادات والميولات، إن سلوكنا ينشأ عن التفاعل بين الجسد وما في داخلنا كقوة باطنة، فالجسد من الجلد والعظام والعروق عناصر هامة لا تتحرك، ولمعرفة مفهوم الصبغة والإسباغ والعلاقة بينهما أخذت الدراسة " بمفهوم الاسباغ " آراء ثلاثة من المعاجم لتحليل بنيتها الدلالية، وثلاثة آراء من المفسرين لفهم الأصول المعرفية، ولآراء الفارابي من زاوية التعلم، ووجدت أن الصبغة، والإسباغ لهما علاقة تكامل، تتطابق مع الدرسات الحديثة لعلم النفس الذي خصص دراسته على الإنسان بدراسات عميقة بيولوجيا وفيسولوجيا، مثل: الاستعدادات والدوافع والميول والرغبات والحاجات، ومصطح النعم مصطلح قرآني، يدل على نعمة الإيجاد والخلق جسما ظاهرا، وقوى باطنة متوازية ، حيث أعطي الله كل شخص قدرا لا يتجاوز عنه، من القوى المعرفية وهي مما اصطلح علماء التعلم معادلة الأذكياء والأغبياء بين الناس، والذكاء من صبغة الله ونعمته الكبرى على الإنسان،وكما يختلف الناس شكلا فإنهم يختلفون أيضا مضمونا ، وتوصلت الدراسة بأن -صبغة الله، واسباغه- هما إشارة إلى تكوين الإنسان وخلقه وإيجاده بقواه الظاهرة والباطنة كنعم ظاهرة مخفية فينا كصبغة الثوب باللون .

[1] " سورة لقمان، آية 20

Abstract :

Subsequent to my previous article which I published in Wisdom Magazine's 16th Issue by the title, "Baptism Between Evidence and Guidance" based upon the understanding of the Qur'anic verse: "(Receive) the baptism of Allah, and who is than Allah in baptising? And Him do we serve." (Al-Baqara:138)

And to complete the topic of this study, I will be analysing the meaning of another Qur'anic verse: "And He bestowed upon you His bounties visible and invisible" Luqman: 20)

Humans are composed of biological as well as bodily strengths which impacts learning and the acquisition of knowledge and an inner strength known in the field of the acquisition of knowledge as cognitive faculty.

This study will seek to fathom the meaning of above verse in order to understand this cognitive power and the behaviour resulting from it in the light of the lexical evidence and opinions of Qur'anic exegetists and the modern methodology of the educational psychology in fundamentals of learning and its principles. To shed further light to the meaning of this verse, I will be taking three opinions from the dictionary meanings as well as three opinions from Qur'anic Exegetists and making Al-Farabi's opinion in the learning and the acquisition of Knowledge as the paradigm for this. Any research will find it in line with modern findings in the field of psychology such as: preparedness, predisposition, inclination, desires and needs in the context of the creation of the humans and their composition.

The inner bounties are not discernible to our physical eyes but we will only be able to see them with the help of our insight as a cognitive faculty, apart from the physical ability. Our human behaviours are born out of these two entities and the studies have conclusively attested to the fact that Baptism and Allah's bounties have both internal and external dimensions pointing to the creation of humans and their composition and the availability of inner and outer strengths.

المقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وعلّمه ما لم يكن يعلم، مسّخرا له الكون بعد أن بثّ فيه كل أنواع النعم ظاهرها وباطنها، واستعمره فيه، وجعله خليفة له في الأرض، وأسبغ عليه صنوفا من النعم لا تعد ولا تحصى ، والله أمرنا أن ننظر بأنفسنا

قبل أن ينظرالينا ، في قوله تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون - سورة الذاريات " [2]. وهي دراسة قرآنية تهدف كشف خبايا الإنسان، من خلال هاتان الآيتان بسّياقي التعلّم والتعليم وبين البنية والدلالة، وبين القوى البيولوجية والفيسولوجية والسيكولوجية، وسلوك الإنسان دوما ينشأ تفاعل الهرمونات الجسدية والقوى الفيسولوجية، فكل سلوكٍ يقوم به الإنسان يرتبطُ بهرمونٍ محددٍ داخل جسمهِ،مثل: الهرمونات التي يفرزها الجسم عند الشعور بالخوف، أو القلق، أوالهرمونات التي تحفز الشعور بالسعادة، أوالحزن، وهي قضايا متوازنة بين مطالب الجسد وقواه الباطنة على أكمل وجه، وبين حاجة الإنسان ورغباته وميولاته، وبين بيئته ومجتمعه فهماَ وأداء، وركزت الدراسة على مفهوم كلمة أسبغ بمدلولاتها البنيوية والمعرفية في سياق تعليمي لفهم قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) سورة لقمان ، 20 " [3] "

فالدلالة المعجمية تبنى عليها الدلالات الأخرى، وبمقارنة بين البنية الدلالية والمعرفية نجد تقاربا كبيرا، سواء أكانت الدلالات دينية، أو أديولوجية، أوفكرية ، أومعرفية أو اجتماعية، فالصبغة ما يغيّر بلون الشئ ويستخدَم للتلوين، كالثوب أو الإناء أو الجدار، وصبغ عليه بلون من الألوان، كالحمرة أوالصفرة أوالسواد، وصبغة الإنسان معرفيا هي القوى الفطرية التي تنشأ عنها الميولات والرغبات، والأفكار إلى اختيار اتِّجاه معرفي، أو اجتماعي أوسياسي، وكان المعنى الذي وجدناه عند العلماء في الآية السابقة مجموعة من المعاني كالدين والملة والفطرة والعقل والفكر والفهم، وبنفس المنهج السابق سنتناول قوله تعالى: (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ابتداء من معانيها المعجمية والدلالية والمعرفية، لأن معرفة البنية هي التي تحدد المعاني الشرعية والمعرفية، وهي الأساس لفهم القرآن الكريم كما قال الإمام الشاطبي: إن هذه الشريعة المباركة عربية فهما وثقافة وعادة وتقاليد ومن أراد فهم الشريعة الإسلامية فعليه الرجوع إلى المعنى البنيوي

[2] سورة لقمان، آية 20

[3] سورة البقرة ، آية 130

" الموافقات، للشاطبية " [4] " اما في تاج العروس: 1732- 1790 م) لمحبّ الدين أبو الفيض محمّد مرتضى الحسيني = مادة = أسبغ هي من الجذر الثلاثي لفعل سبغ، ثم زيدت بالهمزة، فأصبح الفعل ثلاثيا مزيدا بحرف، ليشمل على جميع النعم، ظاهرها وباطنها، ومن النعم الباطنة القوى الفطرية التي فطّر الله الإنسان عليها بعد اكمال جسده، لقد خصّ بصيغة و أسبغ عليه بالنعم ظاهرة وباطنة بتعدي حرف على ، لتكتمل صورة الإنسان ظاهرا وباطنا، وتكون النعمة مكتملة على أحسن الصور وعلى أحسن الوجه، وخلق الله الإنسان بأحسن صورة وعلى أجمل وجه وفي أحسن تقويم " [5] "

أما ابن منظور المتوفى: (711 هـ) فهو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل فربط الدلالة المعجمية بالدلالة المعرفية ويرى أن كلاهما الكمال والاتمام لأسبغ فهو سابغٌ، أَي كامِلٌ ووافٍ، وسَبَغَ الشيءُ، يَسْبُغُ سُبُوغاً هو الكمال والاتمام أو اكتمال الشيء، وذلك عِمَّةٌ سابغة، ومَطْرَةٌ سابِغَةٌ، ودِرْعٌ سابِغَةٌ، أي تامَّةٌ ووافِرَةٌ وطَوِيلَةٌ واسِعَةٌ " [6] فالمعنى المعجمي الذي أشار إليه ابن منظور من الكمال والاكتمال والتمام بالشيء هو المعنى المعرفي مبينا بأمثلته: أَسْبَغَ اللهُ عليْهِ النِّعْمَةَ، أي أَتَمَّهَا وأَكْمَلَهَا ووَسَّعَها، وأسبغ على وزن سبغ فعل، وأسبغ على وزن أفعل، وكلما ازداد مبنى المادة ازداد المعنى أيضا، ونشأ عنها التعدية الذي هو جعل الشيء ذاجدوى وقيمة له، أهديت الكتاب، أي جعلته هدية لك، ومثل صيرورة الشيء، أوراق الشجر، أي صار ذا ورق، وصار المعنى المعرفي أيضا هو الكمال والاكتمال بخلق الإنسان، من حيث الهيكل والجسم استواء، ووضعه القوى الفطرية مثل: النفس والروح والعقل والفكر والفهم والإرادة والرغبة، والشهوة، والدوافع كقوى موازية بقوى الجسد تنشأ من هرمونات الجسد .

جاء السياق العام للآية بنعمة خلق الكون والإنسان، وحدد العلاقة بينهما بصورة واضحة وهي الانتقاع والاستفادة بالنعم المبثوث فيه، ثم تدرّج المعني

---

[4]" سورة لقمان، آية 20

[5]" سورة لقمان، آية 20

[6]" سورة لقمان، آية 20

المعرفي في الفكر الإسلامي، وأخذ شكلا أوضح من مجرد المعاني الدلالية عند عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (1445- 1505) وتناول فهم أسبغ في سياق علم النفس المعرفي (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) " [7] "

وجعل الإنسان عالما موازيا للكون، وقارن بينهما مقارنة مبنية بعلاقة المشابهة والوحدة، وكل ما في الكون يوجد في الانسان مشابهة تامة بينهما بمنظور معرفي بكل معانيه، وقسّم العالم إلى عالم علوي بكل اشكاله، وآخر بسفلي بكل مكوناته، وعالم الأنوار بجماله وتنوعاته، وعالم اخر ماديا ندركه بالعين الباصرة، وآخر حسيّا ندرك بالحواس،

فالإنسان عالم صغير الحجم ، ومع صغر حجمه فهو يشبه الكون بكل تجلياته، من جسد وروح ونفسن، ومفاصل وأنوار وقوى، وأن التطابق بين الكون والإنسان كطباق النفس والروح بالجسد الذي يشمل القوى الجسدية والمعنوية. فشبه عالم الأنوارالكونية بعالم الإنسان الداخلي كصبغة الله عليه. وكقوى التعلم الحسية كالذاكرة والحافظة والواهمة والمتخيلة والمفكّرة، والحسّ المشترك، وهذا العالم به ما هو قاسم مشترك بين الكون والإنسان مثل: البصر في العين، والشمس بالروح في إشراقها وحسنها، والليل بطبع الإنسان وغلطته، كما قال الشاعر: وتحسب انك جِرمٌ صغير - وفيك انطوى العالم الاكبر- داؤك منك وما تبصر- دواؤك فيك وما تشعر.

كما شبه كل ما في داخل الإنسان من نور وعلم ومعرفة مثل الأنوار في السماء، وكل جهل وظلم يشبه الليل الذي لا يكون له نور إلا نور الشمس بواسطة القمر المنير والكواكب الأخرى، والقلب إذا صاحبه الشكوك والأوهام النفسية نظير بالقمر في ظلمته بأصله، وإنارته بالشمس إذا انكشف، فإذا أكسبها القلب المستفيد من الروح نورا أنار جميع البدن، وإذا أظلم القلب أظلم الجسم

[7] سورة لقمان، آية 20

كله، وكشبه الأمطار بالدمع، والحر بالحزن، والبرد كالسرور، والرعد كالنطق، والبرق كالملح، والرياح كالنفس إلى غير ذلك من البدائع لمن تأمل بينهما " [8]" .

وهذه مقارنة منقطعة النظير و بمصطلحات علم النفس الحديث مثل: الذاكرة والحافظة والواهمة والمخيلة والمفكرة، والحس المشترك، وشبه العقل بنور الشمس والقمر، والباطن والظاهر بالروح والنفس، وأن الكون له باطن وظاهر كما أن للإنسان له ظاهر وباطن، وسماه العالم الظاهري والعالم الباطني، مشاهد من بصر وبصيرة، وكل هذه الأمور صبغة من الله التي أسبغها عليه، ومن الزاوية الفيسولوجية من الأية نجدها عند صاحب التنوير والتحرير ابن عطية .و هو- أبو محمد عبد الحق ولد سنة 481 هـ- من علماء التفسير، صاحب كتاب التنوير والتحرير الذي شملت دراسته للسبغة على جوانب المعجمية والدلالية والقراءات، دراسة علمية عميقة بقوله تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، التحرير والتنوير لابن عطية " [9] "

لقد تنازلت دراسته لمادة أسبغ، مبينا الفروق بين حرفي السين في هذه الآية الكريمة، وحرف الصاد في سورة البقرة "وقرأ يحيى بن عمارة، وابن عباس" أصبغ" بالصاد بدلا من السين، لأن حروف الاستعلاء تجتذب السين من سفلها إلى علوها فتردها صادا، ويكون المعنى واحدا، والجمهور قراءتهم بالسنين، وهي إحدى لغات قبايل العرب ، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم، والحسن والأعرج ، وأبو جعفر وابن نصاح "نعمه" وهي جمع نعمة كسدرة وسدرة، بفتح الدال على وزن فعلة للدلالة على الهيئة والصفة، وهي ما يقوم بها الشيء، والهيئة أو الصفة من النعم هي الصفات التي خلق الله في الإنسان من عقل وذكاء وفهم أساسها القوى الدماغية الفطرية، وأن النعم الظاهرة هي الصحة وحسن الخلقة والجمال والمال وغير ذلك، لأن كلمة نعمة نكرة ، والنكرة من أساليب العموم في اللغة العربية، وتشمل على كل النعم الإلهية للإنسان، فلا مجال لتخصيص نوع دون نوع ما لم

[8]" التنوير والتحرير/ ابن عطية الأندلسي، سورة لقمان، آية 20

[9] " التنوير والتحرير/ ابن عطية الأندلسي، سورة لقمان، آية 20

يكن هناك مخصص، وليس مخصص هنا، وهي نعم الإيجاد والخلق بالإسباغ وهو الغلم والمعرفة "[10]"

يرى ابن عطية أن الآية جاءت وسط منظومة متكاملة من صنع الله الدالة على قدرته وعظمته، والتعداد على نعمه وسبغته، مثل: السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والحيوان والنبات، ومن ضمن هذه المنظومة الكونية جاءت كلمة "أسبغ " تحمل معنى الكمال للخلقة، وفيها قوى الإدراك الحسية مثل: الشعور والإحساس والانتباه والعقل والفهم مسبغة بنعم لا ترى بالعين الباصرة، إن تفسيره يشمل على جميع النعم واتمامها بيولوجيا وفسيولوجيا وسيكولوجيا، وأن الله اسبغ على كل عضو من أعضائنا من القدرات الخاصة والمنافع التي يؤدي غيره من البدن.

والأمثلة التي ذكرها ابن عطية واضحة، فالجهاز الهضمي هو المسؤول عن تفتيت الطعام، وإيصال الطعام إلى الجسم، والأوعية الدموية ليتم الإستفادة منها، وتوزيعها على باقي الجسم، ويتكون من عدة أعضاء، وأهمها من فتحة الفم إلى فتحة الشرج، وأن الله خلق في الإنسان الجهاز الهضمي للحياة، ولو توقف أوتعطل لهلك في التو، وكذلك القوى النفسية مثل: الإرادة والرغبات والعقل، والذكاء والفهم، ولو كان الإنسان خاليا من هذه المعاني لسار حجرا، وقد فهم ابن عطية بأن النعم الباطنة، وتشمل على الاجهزة التّنفسية والهضمية، وكلها نعم ظاهرة وباطنة تكتمل صورة الإنسان ومعانيه بهما إنه يتحدث عن الفيسولوجيا، وهو العلم الذي يدرس العلاقة بين السلوك والأعضاء من أجل إيجاد تفسير فسيولوجي أوعضوي للسلوك الإنساني. وكما أوضح المختصين، يدرس علم النفس الفسيولوجي الأساس الفسيولوجي والبيولوجي للظواهر النفسية المختلفة للإنسان "[11]".

[10] التنوير والتحرير/ ابن عطية الأندلسي، سورة لقمان، آية 20

[11] التنوير والتحرير/ ابن عطية الأندلسي، سورة لقمان الآية، 20

في هذا السياق الذي رأيناه عند ابن عطية لتفسير أسبع مفسرا بالقوى البيولوجية والفسيولوجية والسيكولوجية جاء المعنى الشامل للنعم عند فخر الرازي - توفي 606 هو أبو عبد الله محمد بن عمر، فأسبغ عليكم نعمه ظاهرة هي القوى الظاهرة والباطنة-ألا ترى أن العين والأذن شحم وغضروف ظاهر، واللسان والأنف لحم وعظم ظاهر، وفي كل واحد معنى باطن من الإبصار والسمع والذوق والشم ، وكذلك كل عضو، وقد تبطل القوة ويبقى العضو قائما، وهذا أحسن مما قيل فإن على هذا الوجه يكون الاستدلال بنعمة الآفاق وبنعمة الأنفس "[12]".

إذن النعم الباطنة حسب رأيه أعضاء الجسد من قوى التي تراها العين ، وتسمع الأذن بقوى دون الشحم ، وهي شحم وغضروف ظاهر، واللسان والأنف لحم وعظم ظاهر، وفي كل واحد من هذه الأعضاء فيه قوة باطنة من الإبصار والسمع والذوق والشم" [13]" وندرك الحواس ما يحدُثُ في داخلنا من متغيرات، مثل الجوع، والعطش، والشبع، والرِّي، والألم، والفرح، والحزن، وهذه الحواس الباطنة التي طرحها بن عطية أو ما يسمى بالإدراك الحسي، في علم النفس الحديث يعطي الأهمية الكبرى للحواس لما لها من أهمية في كل مناجل الحياة، وهي صبغة من الله.

تشمل أيضا الحواس الظاهرة والحواس الباطنة، وليست خاصية الإنسان وحده، بل يشترك الحيوان معه فيها، ولكن الله - عز وجل - ميَّز الإنسان بإدراكٍ آخر فَضَّله به على باقي الكائنات الحية، يعرِفُ به المعاني الكلية، مثل الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، هذا هو الإدراك العقلي،وبهما يعرف الإنسان على نفسه أولاً، ثم على العالم الذي يحيط بهما، ويستطيع أن يعيش الإنسان مكلَّفا في هذه الحياة .

" [13]" التفسير الكبير/ الرازي، سورة لقمان ، الآية 20

" [13]" العقل والنفس/ عند الفارابي

فبالحواس وبالعقل يُدرِك الإنسان ويتعلَّم ،ويزداد علمًا ومعرفة كلما قويا ، إلا أنه قد يصيب ويخطئ، ويسير ويتعثَّر، ولا يستطيع التوصُّل إلى المعرفة اليقينية في الأمور البعيدة عن حدود حواسِّه أو عقله؛ مثل أمور الغيب، وهنا يشعر الإنسان بحاجة إلى مَن يُرشِده ويَهْديه إلى الوصول للمعرفة الحقة، فجاءت رحمةُ الله للبشر بإرسال الرسل لهدايتهم إلى طريق الحق والخير والصلاح وهي صبغة من الله سبحانه وتعالى التي أسبغها على الإنسان.

ولولا القوة الإدراكية الحسية بالجسد لكان الإنسان كائن مجرد، لا فرق بين عضو وآخر، والقوة الحسية الإدراكية فيه، وقد تبطل القوة، ويبقى العضو، وفاعليته غير قائمة، فالبؤبؤ قد تكون موجودة ولا ترى شيئا، والأذن قد تكون موجودة، وقد لا تسمع شيئا، وما زال علم الأجنة قائم بدراسة هذه الأمور التي تنبه إليها الرازي كطبيب، ومفسر ولغوي، ولم بنهي علم الطب الحديث عنها ، والتي قالها الرازي بقرون، مع تطورها الهائل من أشعة ليزرية وتقنيات عالية الجودة، لأنه كان من أكابر علماء الطب ومشاهيره على الإطلاق، وعرّف السبغة من هذه الزاوية التي لم يعرفها علم الطب وأجهزته في زمانه.

اما الزمخشري وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (467 هـ- سنة 538 هـ 1074 م 1143 م) فقد ساهم في تفسير معنى الإسباغ بكونها نعما إلهية للإنسان، وتناول معاني كلمة أسبغ من ثلاثة زوايا لتحديد المعنى هي: البنية اللغوية، والقراءات، والمقارابات العقلية، فمن زاوية القراءات قال: *وأسبغ" قرئ بالسين والصاد، وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول العرب في سلخ: صلخ، وفى سقر: صقر، وفى سالغ: صالغ*، فلم ينظر معنى أسبغ كثيرا، وإنما اهتم هدف السبغة وهي النعم.

إن الزمخشري بجكم انتمائه إلى المدرسة العقلية الاعتزالية نظر الى معانى المادة من زاوية العقل والحكمة، ومن خلالهما ناقش النعم وأنواعها وأسبابها، ولم يهتم ببنية أسبغ الا من هذه الزاوية قائلا: فإن قلت ما النعمة ؟.

فهي كل نفع قصد به الإحسان، والله سبحانه وتعالى خلق الكون لتنعم به مخلوقاته سواء أكانت إنسانا، أو حيوانا، أو غيرهما، فالهدف من خلق الإنسان

هو العبادة والتعمير للأرض، وأن يتمتع بها، وقال فإن قلت فما معنى النعم الظاهرة والباطنة؟ قلت: النعم الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة من العين الباصرة، مما ينقله عن شيخ المفسرين الضحاك بأن النعم الظاهرة هي حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء، والنعم الباطنة هي كل ما لا يعلم إلا بدليل، أو لا يعلم أصلا، فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها الا الله، ولا يهتدي إلى العلم بها.

وعلى هذا يرى أن الصبعة و أسبغ تشمل على النعم كلها ومن زاوية المعرفة فالنعم الظاهرة هي البصر والسمع، واللسان، وسائر الجوارح الظاهرة، والباطنة هي: القلب، والعقل، والفهم، وما أشبه ذلك" تفسير الزمخشري " [14] "فيمكن أن نأخذ تفسيره هـ لوسائل التعلم والتعليم مثل: البصر والسمع واللسان والأيدي وما وضعها الله فيها من قوى أما النعم الباطنة فهي القلب والعقل والفهم، وما أشبه ذلك، لان الإنسان مكون من هذين العنصرين أساسا، و كل عنصر له وظيفة من أجلها خلقت، فالنعم الباطنة من الآية الكريمة تكون أشبه بالقوى الفطرية والمعرفية في الإنسان، لأن الصبغ يكون للثوب بعد أن كمل نسيجه، وبقدر صبغته يكون جمال وروعته، وهكذا الإنسان، ولهذا فإن النعم الظاهرة تشبه القوى البيولوجية للإنسان كما أن النعم الباطنة تشبه الفيسولوجية أو القوى الفطرية " [15] ".

ومن الممكن أيضا ربط آراء علماء التفسير بمفهوم " أسبغ" بعلم النفس الذي يجعل دراسة الإنسان على نمطين: النمط الأول: دراسة الجسد أو البدن أو الشكل أو الهيئة، ويسمونها القوى البيولوجية كنعم ظاهرة مكتملة بصورة في غاية الجمال والروعة من صنع الله، والنمط الثاني: يجعل دراسته القوى البيولوجية كقوى فطرية من عقل وفهم ومعرفة وعلم، وتكتمل صورة الإنسان بهذين النمطين لعلم النفس، أما المعرفة فعرّفها علم النفس بأنها ما يكتسبه الفرد من خبرات ومهارات ومعارف بالتجربة والتعلّم بالدرجة الأولى، وعن طريق القوى

" [14] "أصول علم النفس/ د أحمد عزت راجحي ص 149

" [15] "أصول علم النفس/ د أحمد عزت راجحي ص 149

الدماغية من الإحساس والشعور والإدراك والفهم والعقل، وبهذا تشكل صبغة وأسبغ رؤية جديدة أو نظرية بين معناها البنيوي والدلالي في دراسة الآيتان دراسة ينبغي أن تتبع دراسات مشابهة من القرآن واستخراجها من الكنوز " [16] "

في مجمل هذا التحليل بين علماء اللغة والتفسير فإن السبغة هي معاني إنسانية تكمل بين القوى البدنية، والمعرفية بإشارات بيولوجية ، ظهرت في الفكر الإسيلامي منذ ابن عطية الأندلسي بصورة بيولوجية، محددا مصدرها وهي القوى الدماغية أوالجهاز العصبي المركزي، وإلى فخر الرازي الذي اكدّ بصورة معرفية منطلقا من القوى الدماغية المتمثلة من إحساس وشعور ورغبة وخوف وكراهية وحب وعقل وذكاء وتأكد بأن الصبغة وأسبغ مركز المعرفة للقوى الدماغية وأنها أم المعرفة البشرية أكتسابا وتعلما، والذين تبلورت هذه الأصول عندهم هو الفارابي وهو محمد بن محمد بن طرقان بن أوزلغ الفارابي الملقب بأبي نصر، المولود ببلدة وسيج، قرب فاراب على نهر سيحون في بلاد الترك بعام (259 هـ 339هـ) وبحياة حافلة بالعلم والثقافة ألف انتاجه المعرفي بمختلف أنواع العلوم التي كانت معروفة في عصره من الطبيعيات إلى الإلهيات، وعلوم الدين كالفقه والكلام، إلى الرياضيات والفلك والمنطق والاجتماع إلى الموسيقى الفن، ويرى أن جوهر الإنسان هو النفس والعقل " [17]" وعرّف علم النفس بأنها كمال أوّل لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، كما هي جوهر روحاني قائم بذاته، وهي جوهر الإنسان وأنفسه، وليست عرضا من أعراض الجسم، فالإنسان في نظره مكون من عنصرين: أحدهما النفس وهي جوهر روحاني من عالم الأمر، والمقصود بعالم الأمر العالم الالهي، والآخر عالم البدن، وهو من عالم الخلق أو العالم المادي "[18]"

الإنسان بهذا التعريف الفلسفي للفارابي مركب من عناصر ثلاثة هي: الجسد، والنفس، والروح، وبمجموعها يسمى الإنسان إنسانا، ومصطلح النفس هو الشائع

" [16] "أصول علم النفس/ د أحمد عزت راجحي ص 149

" [17] "أصول علم النفس/ د أحمد عزت راجحي ص 149

" [18] "المرجع السابق ، ص 135

عند علماء النفس والفلاسفة، لأن النفس أَنْفَسَ الشيء وأغلاه، وتوصف حركات الإنسان ونشاطاته نفسه أيضا، من حزن وفرح وكدَّر، ورضى وغضب ، وهي التي تستمتع وتلتذذ وتتألم، والنفس هي المخاطبة دوماً بالقرآن، وهي المكلَّفة بالسير في طريق الحق،وأمّا هذا الجسد المركَّب من اللحم والعصب والعظام والدم فليس إلاَّ ثوبا وغطاء لما فيه من القوى الداخلة صبغة أسبغ الله" [19]"

وتسوية النفس بقوله تعالى (ونفس وَمَا سَوَّاهَا هذه إشارة إلى أن كامل الإنسان النسبي يكون بقدر صبغة الله فيه، صنعته بالكمال والورعة، والسبغة الظاهرة للإنسان هو هذا الجسد الكامل الخلقة ظاهرا، ويُقال سوَّى الشيء أي جعله سويّاً تركيبا وتنظيما، خالياً من كل عيب، كما يُقال: رجلٌ سويٌ، أي كامل الخلقة في الجسم، ومعنى الآية هو التناسب الكامل بين الجسد والنفس وأعضائه تتناسبا لا إعوجاج فيه،والذي تؤدي الأجهزة وظائفها المعدة من الصانع بسببه .

فالأجهزة البيوولجية المعدية تؤدي هضم الأطعمة، فالكبد يفرز الصفراء، ويخزِّن المواد الزلالية والسكَّر ثم يخرجها في أوقاتها بمعايير مناسبة، والكلية تصفّي الدم، والقلب يُنظِّم الدورة الدموية، والرئة تنظِّم التّنفس، والكريات الحمراء في الدم فهي تمتص من الجسم الغازات المضرة ثم تطرحها في الرئتين وتعود منها حاملة مولّد الأكسجين ذلك الغاز الضروري للاحتراق، وهكذا إذا ذهبت تفكِّر في الجسد وجدت تركيباً عظيماً وخلْقاً عجيباً مزيجا متكاملا

فكما أن المعدّة تقوم بهضم الطعام وتصفية وتوزيعه للجسد فتلك الأعضاء التي خلقت للعلم والمعرفة أسبغت عليها قوى فطرية تؤدي دورها لاكتساب العلم والمعرفة، فالدماغ هو المسؤول عن المعرفة واكتسابها وتوزيعها من الإحساس والشعور والانتباه بالأعضاء، كل من الإحساس والشعور والانتباه والفهم، والسمع والاستماع له وظيفة تجاه اكتساب المعرفة والعلم، فالقوى الدماغية هي الأصل والمصدر، وباقي الأعضاء تابعة لها، فالأذنين خلقت لتسمع الصوت والعلم والحق، والعين خلقت لتبصر، وهكذا كل عضوء خلق له وظيفة خاصة به، وأسبغ عليه من النعم بقوى باطنة، والعلاقة بين هذه الأعضاء والمعرفة علاقة

تنشأ التفاعل بين القوى الداخلية والبدنية للإنسان، واختار الفارابي مفتاحا لرؤيته لتفسير التعلم بمصطلح الاستعداد معبرا عنه بالنهوض ونهض فالنهوص معبرّا عن القوى الفطرية في الإنسان، بمنظور فلسفي نفسي لإكتساب المعرفة، ويشمل مجموعة من المبادئ للتعلم والتعليم مثل:الاستعداد والدافعية والإرادة والرغبة، وكلها قوى أسبغ الله بها على الإنسان كي يكتسب العلم والمعرفة، وأنها نعم لا ترى بالعين الباصرة الا أنها تدرك بالحس والبصيرة والمشاهدة بالعين .

لقد اكتشف علماء النفس الفيسولوجيين العلاقة التي تنشأ بين هذه الأعضاء والأصول المعرفية حديثا، وأن أهمية القوى الدماغية للتعلم لازمة، ودرسوا مجالاته، وموقعه من الجسد، ووجدو أنه من الجانب الأيسر من الرأس ، وأنه مصدر المعرفة للإنسان، وأن علم النفس الفيسولوجي يدرس نشاط الفرد أثناء تفاعله مع البيئة الداخلية والخارجيّة، وهو أيضاً يهتم به في فهم الأنماط السلوكيّة، وعلاقة البيئة المحيطة، وتأثيرها بعملية تكوين السلوك بالطرق والأساليب العلميّة، واختار الفارابي هذا المبنى لمبادئ التعلم المعرفية، لما له من علاقة خاضة لأصول التعلم الطبيعية، وطرق تفكير الإنسان بما في ذلك البيئة، وتأثيرها، والاستجابة عنها، لأنه مصطلح ذات صلة بالمعاني النفسية للتعلم والأصول الذاتية أيضا، والنهضة الطاقة والقوة في الشيء، وأنهضه الشيء نهضا ونهوضا، قواه على النهوض به، والناهض الفرخ الذي استقل للنهوض،والجمع نواهض. - المعجم العربي المعاصر "[20]"

يقول : المعجم العربي المعاصر" نهضَ يَنهَض، نُهوضًا، فهو ناهِض، نهض التِّلميذُ مبكِّرًا، قام يقظًا نشيطًا، سقط ، ثمّ نهَض قائمًا، شابٌّ ناهض، ودليل ناهض واضح بيّن، وقلوبٌ لا يَهزُّها النّهوض في سبيل الكرامة، ونهَض بالمسئوليَّة أي تحمَّلها كاملةً وأدّاها، ونهَض للصَّلاة، قام واستعد وتهيَّأ بها، ونهَض للمسجد قام وتحرَّك إليه، وحين تكتمل قوى الفراخ يستعد للمشي، ويبدأ الاستعداد

[20] "المعجم العربي المعاصر - مادة نهض

للطيران، والطفل بعد اشتدادت قواه الجسدية فيه ينهض ويعدّ نفسه القيام بالتعلم أيضا- المعجم العربي المعاصر "[21]

وحثّهم على سرعة القيام بشيء، وعند الفارابي تنهض نفسه إلى أن يعلم، أو يفكّر، أو يتصوّر ، أويتخيّل أويتعقّل، وكل ما كان استعداده له بالفطرة أشد وأكثر، فإن هذا هو الأسهل عليه، ويحرك جسمه وأعضاءه إلى حيث تحركه. *الموسيقى الكبير* " [22]" .

كما ربط الفارابي بين القوى البيولوجية والفيسولوجية والسيكولوجية كقوى فطرية أسبغها على الإسان بأحسن وأكمل *وجه*، وأن معظم القوى المعرفة المؤثرة للتعلم التي أشار إليها الفارابي هي: أن يعلم ،- أن يتعلم - أو التعقّل-أي العقل أو يفكّر، أو يتصوّر ، أويتخيّل، الاستعداد بالفطرة،الفهم والعقل، وأن هذه الأصول أسبغها على الإنسان، وكل إنسان يكون حظه من المعرفة والعلم بقدر السبغة التي فيه.

فالسؤال أين هذه الأصول من قوله تعالى: (وأسبغ عليكم نعمه-) وصبغة الله، وقد مرّت بنا رؤية الرازي، وتوصيفه الدقيق لهذه المعاني وابن عطية بأن الإنسان مجموعة مكونة من هذه الغطاء وقواه الداخلية، وأن الدماغ مصدر المعرفة البشرية، وأن فيه قوة معدة للتعلم، كقوة الحفظ والذاكرة والفهم والتفكير، ويجعل علم النفس القوى الدماعية مصدرا للمعرفة ،(معجم علم النفس والطب النفسي .

وهذا نصه الآخر الذي قال فيه " وعلى النوع الذي استعداده له بالفطرة أشد وأكثر وأكمل، فإن هذا أيضا هو الأسهل عليه، وأول ما يفعل شيئا من ذلك يفعل بقوته فيه بالفطرة، وبملكة طبيعية لا اعتياد له سابقا قبل ذلك ولا صناعة، وإذا تكرر فعل شيء واحد مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية "[23]"

---

[21] المعجم العربي المعاصر

"[22] "الموسيقى الكبير/ للفارابي ، ص، 148

" [23]"الموسيقى الكبير ، الفارابي ص، 181

وفي الموسيقى الكبير فهذه الأصول اتي ذكرها الفارابي من الاستعداد، والميول، والتفكر، والتتخيّل، والتصوّر والفهم، صبغة، ونعمة أسبغا الله في الإنسان، وطبائعه تنشأ بين الجسد في الهرمونات، وهي أصول فطرية معدّة للتعلم مؤثرة، والنهوض هو الجهد والاجتهاد بشاط وحيوية من التلميد، وهو ما عبر عنه الفارابي فتنهض نفسه، وكلها أصول معرفية لازمة للتعلم أيضا، وأسبغ الله على الإنسان وفطّره فيه فسبحان الله الذي اتقن خلقة الإنسان وأحسنه قائلا: (صنع الذي اتقن كل شيء إنه خبير بما تعملون) أي أحسن كلّ شيء خلقه وأوثقه" [24] "

وبقدر استعداده النفسي يكون نهوضه واستقباله للعلم والمعرفة، وبقدر غرائزه وميولاته التي أسبغ الله فيه شعورا وانتباها يكون إدراكه بالمعرفة، وبقدر الدوافع والحوافز والبواعث فيه يكون تحصيله، ومن أجل إشباع هذه الغرئز التي عبّر عنها الفارابي بالنهوض بفطرته وغرائزئه، وميوله ورغباته، وشعوره يعتبر أنها قوة أسبغها الله في الإنسان، وفطرّها فيه، وبقدر وجودها يكون فهمه واستيعابه للمعرفة،ويكون اكتسابه أفضل وأحسن على النوع الذي استعداده له بالفطرة أشد وأقوى وأكثر وأكمل، فإن هذا أيضا هو الأسهل عليه، وأول ما يفعل شيئا من ذلك يفعل بقوته فيه بالفطرة، وبملكة طبيعية لا اعتياد له سابقا قبل ذلك ولا صناعة، وإذا تكرر فعل شيء واحد مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أوصناعية " المرجع السابق ، الفارابي " [25] "

هذه أصول نظرية التعلم الفارابية مفسرا نهوض الدارس وقوته للتعلم، وأنها صبغة الله التي أسبغ علينا وفطّرها فينا، وكل ما سواها عوامل مساعدة للتعلم، تحتاج إلى تربية وتنمية حتى تصبح المعرفة ملكة،وتحتاج المعرفة إلى تنمية وتطوير كما يحتاج الجسد النمو الطبيعي للأكل والشرب حتى يصل إلى أشده وقوته، وأصول التعلم عنده إلى ثلاثة أقسام : القوى الفطرية مثل: الاستعداد والميول والرغبات، والقوى المعرفية، مثل الذكاء والعقل والتفكر، والأصول الذاتية مثل:

" [24]"الموسيقى الكبير ، الفارابي ص، 184

" [25]"الموسيقى الكبير ، الفارابي ص، 181

الممارسات والتكرار والمجاهدة، واختارها لمصطلح االنهوض، وهذه المعاني من صنع الله وصبغته التي أسبغ افي الإنسان، وبهذا تكون الرؤية بين الصبغة بحرف الصاد ، وبين أسبغ بخرف السين تكاملية مستوية في خلق الإنسان كما قال رب العالمين (ونفس وما سواها) سورة الشمس، الآية، 7 .

فسبحان الذي خلق فسوى، و أسبغ نعمه علينا من فضل وكرمه

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الدراسات النفسية في القرآن والنسة / الدكتور نجاة عثمان، دار الشروق. -
الدراسات النفسانية من بالقرآن د/ مرهف عبد الجبار سقا - شبكة- انترنت. -
الدرر المنثور في التفسير بالمأثور/ للسيوطي،مكتبة الحلبي ، القاهرة، المكبة الشاملة انترنت.-
التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ للرازي، المكتبة الوقفبة ، دار الفكر العربي بيرود .-
- التنوير والتحرير، لابن عطية الأندلسي/ دار المعرفة ، بيرود، شبكة إنترنت.
تاج العروس، للزبيدي/ دار إحياء التراث العربي، ببيروت، وكيبيديا.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ محمود بن عمرو الزمخشري ،دار الكتاب العربي بيروت
معجم علم النفس والطب النفسي/ جابر عبد الحميد وآخرون -
أصول علم النفس والقرآن/ الدكتور نجاة عثمان، دار الشروق.-
- أصول علم النفس/ الدكتور أحمد عزت، دار المعارف، القاهرة، انترنت
- موسوعة العلوم/ للدكتور محمد راتب النابلسي، صفحته للنت.
- لسان العرب، ابن منظور / دار النهضة، مكتبة مشكات الإسلامية، إنترنت .
المعجم العربي المعاضر/ المجمع العربي، مكتبة مشكات الإسلامية، إنترنت. -
- المعجم الوسيط/المجمع العربي دار المعرفة، مكتبة مشكات الإسلامية- إنترنت
العقل والنفس عند الفارابي، مكتبة الفلسفة ، ابنترنت -
- الموسيقى الكبير/ للفارابي دار النشر العربي، مكتبة الفلسفية، شبكة انترنت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ للزمخشري، دار المعرفة، مكتبة مشكات الإسلامية- إنترنت -
[1]لموافقات للشاطبي / ابراهيم اللخمي ، ج 2، ص (84) -